

جامعة ديالى

كلية التربية الاساسية

قسم التاريخ

المحاضرة الثالثة

محاضرات عصر الرسالة

م.د. أنزهار غانري

١٤٣٦ هـ

٢٠١٥ م

الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية اشتدت قريش على المؤمنين من أهل مكة « فأمر رسول الله ﷺ بالخروج إلى المدينة وهي الفتنة الآخرة ، التي أخرج فيها رسول الله ﷺ أصحابه وخرج ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (٨٤) ﴿ (٨٥)

الناهما / هم
سادسا : الهجرة إلى المدينة : حنا هن / هم

لقد سعى الرسول ﷺ بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية مع أهل المدينة في شهر ذي الحجة من السنة الثانية عشرة للبعثة على تشجيع أصحابه المكين للهجرة إلى المدينة قبل أن يهاجر هو بنفسه وذلك من أجل توجيه عملية الهجرة والاطمئنان على وصول أتباعه إلى المدينة بسلام واستقرارهم فيها .

يقول ابن اسحاق أنه حين أمر الرسول ﷺ أصحابه المكين « بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، وللحوق بأخوانهم من الأنصار ، وقال : ان الله عز وجل جعل لكم أخوانا ودارا تأمنون بها . فخرجوا أرسالا - أي جماعة في إثر جماعة - ، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة » (٨٦)

وقد حاول المهاجرون ان يحيطوا أمر مغادرتهم لمكة بجو من الهدوء والسرية كي لا يثيروا حفيظة قريش عليهم فتعمد إلى منعهم من الهجرة واضطهادهم « فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك » (٨٧) . غير ان المحافظة على سرية الهجرة في مدينة صغيرة مثل مدينة مكة كانت أمرا في غاية الصعوبة وبخاصة وأن بعض الأسر قد هاجرت بأكملها مثل بني مظعون وبني جحش بن رثاب الكبير « فان دورهم غلقت بمكة هجرة ، ليس فيها ساكن » (٨٨)

ويبدو ان بعض الأسر المكية قد حاولت منع ابنائها من الهجرة باستخدام القوة ضدهم وعملت على فتنهم عن دينهم . فقد ذكر ابن اسحاق أن عمر بن الخطاب حينما أراد

(٨٤) سورة الانفال ، الآية ٢٩ .

(٨٥) الطبري : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ ، ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٨٦) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٦٨ .

(٨٧) ابن سعد : الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٨٨) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٩٩ .

الهجرة الى المدينة اتفق مع عياش بن ابي ربيعة ، وهشام بن العاصي على ان يلتقوا في وقت ومكان محدد ، فان تخلف أحدهم عن الموعد فمعنى ذلك أنه قد حبس فليمنض صاحبه . فلما حان الوقت المتفق عليه ، حضر عمر بن الخطاب وعياش بن ابي ربيعة وحبس هشام « وقتن واقتن » (٨٩)

وقد مارس زعماء المشركين الضغط على الموالي والمستضعفين لمنعهم من الهجرة . فقد ذكر ابن هشام ان « صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا . فكثرت مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرايتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قال : نعم ، قال : فاني جعلت لكم مالي قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب » (٩٠)

وقد ترتب على الهجرة انقسام بين أفراد الأسرة الواحدة في حالة اختلافهم في العقيدة ، فقد رفضت زوجات بعض المسلمين ممن كن لازلن على الشرك الهجرة مع ازواجهن الى المدينة ، فأمر الله المسلمين بطلاقهن : ﴿ وَلَا تَأْخُذُوا بِعَصْمِ الْكُوفَرِ ﴾ (٩١) ، كما أشار الى مثل هذه الحالات بقوله : ﴿ إِنْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ يَعُدُّوْا لَكُمْ فَأُحْذِرُوهُمْ ﴾ (٩٢) . كما ان بعض النساء المؤمنات تزكن ازواجهن الكفار وهاجرن الى المدينة . وقد أشار القرآن الكريم اليهن بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَأَتَوْهُنَّ مَا انْفَقُوا ﴾ (٩٣) . وكان ممن هاجرن من المؤمنات ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ، وأميمة بنت ليث ، وقد قام المسلمون بدفع صداقهما الى زوجيهما الكافرين (٩٤) .

ويلاحظ ان متطلبات الهجرة في ذلك الوقت لم تكن سهلة ، وبخاصة لضعفاء الناس وفقرائهم ، فكان بعضهم يضطر للسفر على قدميه عن مكة الى المدينة نظرا لعدم

(٨٩) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٧٤ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٧٧ .

(٩١) سورة المتحفة ، الآية ١٠ .

(٩٢) سورة الطلاق ، الآية ١٤ .

(٩٣) سورة المتحفة ، الآية ١٠ .

(٩٤) العلي : الدولة في عهد الرسول ، ص ٨٣ .

وجود راحلة يستعين بها في سفره. فقد ذكر ابن سعد أن المهاجرون كانوا يخرجون من مكة الى المدينة مشاة وركباناً «أما أهل القوة فركبان ويعتقون، وأما من لم يجد ظهراً فيمشون» (٩٥).

وعلى الرغم من كل المضاعف التي كانت تقف وراء الهجرة وتحيط بها، فقد هاجر المسلمون من مكة الى المدينة، وكان عدد المهاجرين سبعين مسلماً (٩٦)، ولم يبق في مكة أحد من المسلمين «الآمن حبس اوقت» (٩٧).

ويبدو أن عدد المحبوسين والمفتونين عن دينهم في مكة لم يكن قليلاً، لذا فقد استحق الموضوع معالجة القرآن له في عدة آيات نحو قوله تعالى: ﴿الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك ماواهم جهنم وساءت مصيراً، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى الله إن يعفو عنهم وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (٩٨).

وتشير المصادر الى ان المسلمين حينها هاجروا من مكة تركوا دورهم أمانة عند قومهم، فحافظ قسم منهم عليها ولم يمسه بسوء، في حين تصرف القسم الآخر بها وباعها. لذا فقد قام حسان بن ثابت بمدح من أمسك على «دور من هاجر من قومه عليهم، وذم بعض من باع دور من هاجر من قومهم» (٩٩). وقد ذكر ابن اسحاق انه «لما خرج بنو جحش بن رثاب من دارهم، عدا عليها ابو سفيان بن حرب فباعها..» (١٠٠) كما ان عقيل بن ابي طالب قام بأخذ البيت الذي ولد فيه الرسول ﷺ وباعه بعد هجرته وكذلك فعل معتب ابن ابي لهب بأخذه بيت خديجة زوجة الرسول ﷺ وبيعه (١٠١).

(٩٥) ابن سعد: الطبقات، ج ٣، ص ٢٧١.

(٩٦) وات، محمد في مكة، ص ٢٣٦.

(٩٧) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٨٠.

(٩٨) سورة النساء، الآية ٩٧-٩٩.

(٩٩) ابن بكار، الزبير: جمهرة نساء قريش وأخبارها، القاهرة ١٣٨١ هـ، ج ١، ص ١٦٠-١٦١.

(١٠٠) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٩٩.

(١٠١) الأزرقي: أخبار مكة، ج ٢، ص ٢٤٥-٢٤٦.

وهكذا كانت الهجرة عملاً عظيماً بكل ما تنطوي عليه من تضحية بالأهل والموطن والمال في سبيل الحفاظ على حرية الفكر والعقيدة ، فلا عجب ألا يستطيع الأقدام عليها إلا الصفة من المؤمنين الصادقين .

سابعاً : هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة :

مكث الرسول ﷺ في مكة بعد بيعة العقبة الثانية بقية ذي الحجة وشهري محرم وصفر ، تمت خلالها هجرة جميع أصحابه إلى المدينة عدا من حبس أو افتتن (١٠٢) . ولم يبق مع الرسول ﷺ في مكة سوى علي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق بناء على طلبه .

ويبدو أن زعماء المشركين في مكة قد أدركوا خلال هذه الفترة مخاطر نجاح الهجرة على مصالحهم الاقتصادية والسياسية والدينية ، فاجتمعوا في دار الندوة للتشاور فيما يجب عليهم عمله لمواجهة الموقف . قال ابن اسحاق « ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شعبة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ اليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه » (١٠٣) .

وقد أشير إلى أنه قد حضر اجتماع الندوة عدد من زعماء قريش الذين يمثلون عشائر نوفل وعبد شمس وعبد الدار وأسد ومخزوم وسهم وجميح ، ويلاحظ أن هذه العشائر كانت قد اتخذت موقفاً مناوئاً للعشائر المكية التي ساهمت في حلف الفضول والتي كان بضمها عشيرة الرسول ﷺ ، أي بنو هاشم (١٠٤) ، فلا عجب أن تعمل على اتخاذ موقف شديد من رسول الله ﷺ .

لقد ذكر ابن اسحاق أن زعماء المشركين تداولوا في حبس الرسول ﷺ أو نفيه خارج مكة أو قتله . وقد أجمع رأيهم أخيراً على قتل الرسول ﷺ استناداً إلى خطة اقترحها أبو

(١٠٢) ابن الزبير: مغازي رسول الله ، ص ١٢٨ .

(١٠٣) ابن هشام: السيرة ، ق ١ ، ص ٤٨٠ .

(١٠٤) الصلوات ، ق ١ ، ص ٤٨١ ، وات : محمد في مكة ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

جهل بن هشام وهي حسب قوله : « نأخذ من كل قبيلة فتي شأبا جليدا نسبيا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتي منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه » (١٠٥) ، وبذلك يتفرق دمه في العشائر جميعا ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم فيرضون بأخذ الدية (١٠٦) .

وقد ذكرت المصادر ان الرسول ﷺ قد عرف بهذه الخطة وأشار اليها القرآن الكريم بقوله : ﴿ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ (١٠٧) ، لذا فقد سارع الرسول ﷺ الى اعداد خطة الهجرة الى المدينة بصورة تعتمد أعلى درجات السرية من أجل احباط خطط المشركين ومكرهم (١٠٨) .

وكانت خطة الرسول ﷺ في الهجرة تقوم على تكليف علي ابن ابي طالب في المبيت في فراشه كي يوهم المشركين بأنه مازال في داره ليلة الهجرة ، ثم يقوم باصطحاب ابي بكر الصديق (رضي) في هجرته الى المدينة .

وقد قام ابو بكر الصديق بشراء راحلتين للسفر واستأجر دليلا اسمه عبدالله بن أرقط ليصحبها في سفرهما . كما تولى ابو بكر مع الرسول ﷺ وضع خطة مغادرتها مكة وتأمين وصول الطعام اليها بطريقة لا تسمح لقريش باكتشاف موضع اختفائها . وقد ذكر ابن اسحاق ان الرسول ﷺ وأبا بكر خرجا بصورة سرية الى غار ثور ، وهو جبل بأسفل مكة فدخلاه ، وبقيا فيه ثلاثة أيام مختفين يعيشون على لبن أغنام كان يرعاها عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق بالاضافة الى طعام كانت تأتيهم به اسماء بنت ابي بكر (١٠٩) . حتى اذا خف الطلب وبثت قريش من العثور عليها خرجا من الغار واتجها صوب المدينة سالكين طريقا غير الطريق الاعتيادي المألوف الذي كان يسلك الوديان والسهول الساحلية ، وكان ابو بكر يعرف هذا الطريق وأهله من سفراته السابقة الى بلاد الشام (١١٠) .

(١٠٥) الصلوة ، ق ١ ، ص ٤٨٢ .

(١٠٦) الصلوة ، ق ١ ، ص ٤٨٢ .

(١٠٧) سورة الأهل ، آية ٣٠ .

(١٠٨) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٨٤-٤٨٥ .

(١٠٩) الصلوة ، ق ١ ، ص ٤٩٢-٤٨٤ .

(١١٠) العلي : الهجرة في عهد الرسول ، ص ٧٨ .

لقد استغرقت رحلة الرسول ﷺ الى المدينة منذ أن غادر الغار في جبل ثور في ٤ ربيع الأول، الى ان وصلها في ١٢ ربيع الأول من عام ١٣ للبعثة المصادف ٢٤ ايلول سنة ٦٢٢ م، ثمانية ايام. وكان يصحبه في هذه الرحلة ابو بكر الصديق ودليلها عبد الله بن أرقط وعامر بن فهيرة (١١١).

لقد كان أهل المدينة يتربصون وصول الرسول ﷺ كل يوم الى مدينتهم بفارغ الصبر بعد أن سمعوا بخروجه من مكة، وقد ذكر أنهم كانوا يخرجون للقاءه في كل يوم من بعد صلاة الصبح ويبقون في انتظاره حتى يشتد عليهم الحر فيعودون الى بيوتهم. وقد وافق وصول الرسول ﷺ قباء وهي ضاحية على حدود المدينة في وقت الظهر، وكان الأنصار قد عادوا الى بيوتهم فشاهده أحد اليهود فراح يبه أهل المدينة بقوله: يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء (١١٢). فخرج أهل المدينة لاستقباله فرحين. وقد قدم لنا أنس بن مالك وصفا لاستقبال أهل المدينة للرسول ﷺ وحفارتهم به بقولهم: «اني لاسعى في الغلمان يقولون جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئا، ثم يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئا، قال حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه ابو بكر. فكنا في بعض خراب المدينة، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يذن بها الأنصار فاستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا اليها فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى ان العواتق - أي الحرائر الشريفات - لفوق البيوت يتراءينه يقلن أيهم هو، أيهم هو؟ فما رأينا منظرا شبيها به» (١١٣).

ان الوصف المتقدم يدل على ان وصول الرسول ﷺ الى المدينة كان بمثابة عيد للمسلمين حيث خرج لاستقباله حوالي خمسمائة رجل من الأنصار معبرين عن ترحيبهم وسرورهم بمقدمه. وقد شاركهم في التعبير عن هذه المشاعر النساء والأطفال.

ولم يعكر صفو هذا الاستقبال الخافل اي مظهر من مظاهر المعارضة أو الاستياء المعلن من غير المسلمين، سواء أكانوا من المشركين ام من اليهود مما يدل على قبولهم الضمني لهجرة الرسول ﷺ وأصحابه الى المدينة.

(١١١) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٨٧، ٤٩١-٤٩٢، ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٣٢-٢٣٣، وات: محمد في مكة، ص ٢٣٨.

(١١٢) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٩٢.

(١١٣) ابن كثير: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨١-٢٨٢، السهري: بلاء الرسل، ج ١، ص ٢٥٥.

وهكذا فقد تشكل موقف أهل المدينة من الرسول ﷺ استنادا الى المعطيات الاجتماعية والعقائدية على النحو الآتي :

١. المسلمون من الأوس والخزرج ، وكان ولاؤهم للرسول ﷺ كاملا بحكم ايمانهم بأنه رسول الله اليهم ومبايعتهم له على السمع والطاعة . وكان يشاركهم هذا الموقف بطبيعة الحال اخوانهم المهاجرون الذين وصلوا الى المدينة قبل وصول الرسول ﷺ بفترة وجيزة .

٢. المشركون من الأوس والخزرج ، وكان موقفهم يقوم على التضامن مع قومهم المسلمين استنادا الى الأعراف والتقاليد العربية التي توجب على ابناء القبيلة التضامن واحترام حقوق بعضهم بعضا في منح حق الجوار لمن يطلبه واقامة التحالفات مع الأفراد والجماعات .

٣. اليهود ، كان يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وغيرهم من يهود المدينة حلفاء للأوس والخزرج . ومن ثم فقد كانوا ملزمين باحترام عهد حلفائهم والتضامن معهم في مواقفهم العامة . لذا فقد اظهر اليهود ترحيبهم بمقدم الرسول ﷺ الى المدينة . وربما توقعوا أن تجلب هجرة الرسول ﷺ الى مدينتهم الأمن والاستقرار الذي افتقدته بسبب الصراع الشديد بين مختلف الفئات المتنافسة .

لقد كان عمر الرسول ﷺ حين وصل المدينة حوالي ثلاث وخمسين سنة ، أمضى ثلاث عشرة سنة منها بدعوة قومه الى الاسلام ، فلم يستجب له منهم الا القليل ، وقد هاجروا معه الى المدينة ، موطن الدعوة الجديد ، فكيف ستكون السنوات القادمة بين هؤلاء المؤمنين الجدد ، وما المصاعب والتحديات التي سيواجهها على طريق بناء مستقبل الدعوة في مرحلتها الجديدة .

ان للباحث ان يتصور ان الرسول ﷺ قد دخل المدينة وهو يمثل في ذهنه الآيات القرآنية التي أذن الله تعالى له بموجبها في الهجرة من مكة الى المدينة (١١٤) : ﴿وقل رب ادخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾ (١١٥)

(١١٤) ابن كثير: السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٦٠

(١١٥) سورة الاسراء ، الآية ٨٠